



إيمان الحوسنيّة

## مأزق الفكر الإسلامي

لقد عايش المجتمع العربي والإسلامي في السنوات المنصرمة انطلاقة أطروحة "الحرب على الإرهاب" من قبل الجانب الأمريكي وحلفائه، والذي قوبل هو الآخر في خطابات الإسلاميين بأنه "حرب على الإسلام" ككل، ولو حاول الطرف الأمريكي تخفيف حدة الهجوم هذا بقوله إن هناك إسلاما معتدلا وآخر متطرفا، كما يذكر الباحث والمفكر "رضوان السيد" في بحثه "مأزق الفكر الإسلامي المعاصر".

فظهرت الكثير من الكتابات العربية والإسلامية والتي اعتبرت هذا الموقف الأمريكي شماعة للهجوم على الدين الإسلامي واحتلال الأراضي العربية والإسلامية والاستفادة من مواردها، كما أنه رغبة قوى الغرب وحلفائه في نشر ثقافته وقيمه على حساب الحضارات الأخرى فيما يسمى بالأوحادية الحضارية وصراع الحضارات لصالح القيم الغربية والمسيحية/ اليهودية على ثقافة المسلمين وحضارتهم.

وقد أدى ذلك إلى الاعتقاد بأنه لا انقسام في الوعي العربي والإسلامي وأن الصراع هنا فقط بين جانبين: "الأمريكي وحلفائه" و"المسلمين"، فلا وجود إلا لهذا الصراع بين القطبين.

فأصبح الصوت العربي والإسلامي لا يلتفت كثيرا لصراعاته الداخلية والمتغيرات التي تحصل فيه، بقدر التفاته وإيمانه بأن الصراع هنا فقط من جانبين؛ طرفاه: الأنا (المسلمون)، وطرفه القاصي الآخر (الأمريكي وحلفاؤه).

ومن هنا عمد رضوان السيد إلى تقسيم بحثه إلى ثلاث أطروحات؛ وهي: أن الصراع على الإسلام مزدوج، والثانية أن خطاب الحل الإسلامي المستند على فكرة قيام الدولة على الدين هو خطاب مستجد أفرزته الأزمة السياسية، والثالثة أن مأزق الفكر الإسلامي يتعلق بالرؤية السائدة للعالم فيه.

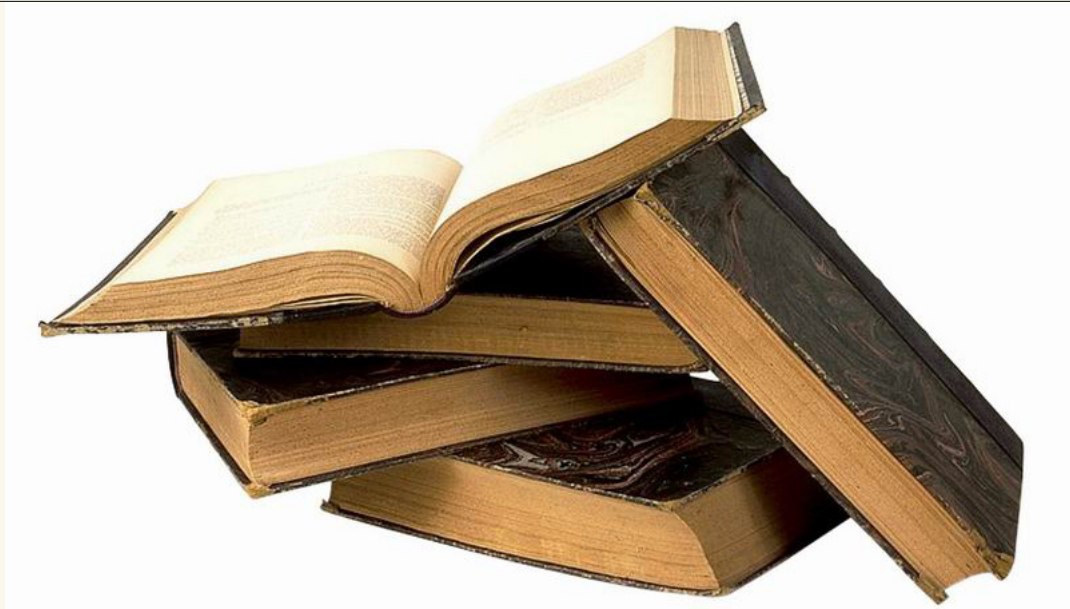
ففي الأطروحة الأولى يذكر السيد الصراع الذي يوجد داخل الإسلام ذاته، بحديثه عن التيارين الإصلاح والسنفي اللذين ظهرا قبل قرن ونصف تقريبا، فالتيار الإصلاح يريد تحقيق إصلاح ديني، بما يتناسب مع متطلبات العصر الراهن وبما يحقق الندية مع الغرب، من أجل تقدم مدني وسياسي، بعيدا عن التقليد الإسلامي، فهي حركة تشبه في بدايتها، حركات الإصلاح الديني في أوروبا قبل الثورة الفرنسية، بينما يري التيار السنفي، العودة لأصول السلف، "الماضي"، وإسقاط رؤيتهم على الواقع من أجل صون الهوية الإسلامية.

وقد ضعف التيار الإصلاح في حقبة ظهور الدولة الوطنية، لأنها تخلت عنه، ولأن السلفية وشقيقاتها من حركات صون الهوية، جعلت من هذا المشروع، وكأنه مشروع لهدم الثقافة الإسلامية، وليس إصلاحيا.

وهكذا نشهد منذ عقود وبداخل الإسلام صراعا بين الإحيائية الإسلامية ذات الشعبتين: السلفية والأصولية من جهة، والتقليد الإسلامي من جهة ثانية، كما نشهد صراعا آخر أظهر وأشد وبداخل الإسلام أو العالم الإسلامي: بين الإحيائية ذات الشعبتين من جهة والحكومات العربية والإسلامية من جهة ثانية.

أما في الأطروحة الثانية: فقد تحدث السيد عن فكرة الإسلام والدولة، وأن الإسلام نهج حياة لا يقتصر فقط في أركان الإسلام وإنما يشمل كل جوانب الحياة السياسية والاقتصادية وغيرها. ومن هنا ظهرت فكرة (الدولة الإسلامية وتطبيق الشريعة) وأن الحل لكل أزماتنا هو بتطبيق الشريعة الإسلامية الصالحة لكل زمان ومكان.

والغريب أن تطرح هذه الفكرة بهذا الشكل العام والفضفاض؛ لاستشارة الرأي العام، بعيدا عن تفاصيلها والاختلافات والاجتهادات الداخلة فيها، ويرى السيد أنها فكرة مستجدة، نتيجة الأزمة السياسية التي يعيشها الإنسان العربي من قبل



تضافر جهود، سياسية واجتماعية وثقافية، لرأب الصدع في الداخل.

حقيقة، أرى أن السيد وفق في تقديم بحثه وفي طريقته في تحليل أطروحته الثلاث، وأوافقه على أنه ليس صراعا فقط بين الأنا والآخر، بل حتى هذه الأنا تشهد في داخلها انقسامات لا بد من الالتفات لها، إن المشكلة في العقل العربي والإسلامي، أنه عقل حدي، لا يرى إلا الأبيض والأسود، مما يجعل رؤيته ضيقة، فإما أنت وإما أنا، إما المسلمون وإما الكفار، إما أن تكون من مذهبي وإلا تكفر، إما أن تؤمن بتطبيق الشريعة وإما أن تخرج من الدين، وهكذا، وهذه الرؤية لا تخلق إلا انفصالات في أرض الواقع لا انسجام بينها، كما أن ثقافة التشابه التي تربي عليها الإنسان المسلم في بيئته تساهم في ترسيخ ذلك، فمنذ نعومة أظفارنا ونحن نتعلم ثقافة التشابه في كل رؤانا وأفكارنا، ويتم تعزيزها في كل مكان، ابتداء من الأسرة وانتهاء بالمدرسة والمحيط الخارجي، وإقصاء ثقافة الاختلاف، وجعلها تهديدا لأن المجتمع وسلامته، ويلعب العامل السياسي أيضا دورا مهما جدا في تضيق الخناق على حرية الرأي والتعبير، وإقصاء التعددية، بحجة الحفاظ على أمن الدولة، وافتعال المشاكل بين أبناء المجتمع الواحد للحفاظ على سلطته أطول فترة ممكنة.

أنظمتها الداخلية والهجوم الغربي، فالفقهاء المسلمون سابقا كانوا يعتبرون مسألة الإمامة من الاجتهادات والمصلحيات لا التعبديات، وأيضا اعتبار الشريعة مصدر كل السلطات، بينما يرى الفقهاء المسلمون أن المرجعية للجماعة وجماعاتها (مرجعية الجماعة ومشاركة الجميع في السلطة الدينية والسياسية). فالجماعة هي التي تحتضن النص والدين وتستقل بإدارة شأنها العام وليس النص هو الذي يحتضنها؛ فمركزية النص تؤدي إلى نشوء طبقة كهنوتية تحتكر المرجعية لها.

وختم السيد بحثه بعرض أطروحته الثالثة والتي تتحدث عن "رؤية العالم"، أي كيف يرى المسلمون العالم؟ وذكر فيه أن عددا من الفقهاء كانوا يؤمنون بأن الجهاد هو ليس فقط دفاعا عن النفس، بل إن الجهاد مشروع (للكفرة)، وبالتالي ينقسم العالم إلى شطرين: الشطر المسلم، والشطر الكافر الذي يشرع قتاله ولو لم يعتد علينا، وكان علاقة المسلم بالعالم هي علاقة مبنية على "الاعتقاد" وليس المشاركة الإنسانية. كما أن هناك عقيدة الولاء والبراء والتي حضرت مزيدا من الفصل بين المسلمين والعالم.

ومن هنا نرى أن الصراع ليس فقط بين الطرف المسلم والجانب الأمريكي وحلفائه وحسب، بل إن المسلمين أنفسهم في داخل منظومتهم، يعانون من صراعات.

وإن الحل لا يكمن في عصا سحرية في ليلة وضحاها، بل إنه